جوانب من مساهمة الخيول في تاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

د . علي البونرايني
كلية الآداب سايس فاس
جامعة سيدي محمد بن عبد الله/ المغرب

الكلمات المفتاحية: الخيل. الغرب الإسلامي. العراب. التبوريدة. الرماية

الملخص:

يندرج مضمون هذ المقال ضمن المواضيع التي اغفلتها دراسات الباحثين المهتمين بتاريخ الغرب الإسلامي ، فاذا كان هذا المجال قد تمت تغطيته بأبحاث لمواضيع همت السياسة الاقتصاد المجتمع بعاداته وتقاليده ،فان موضوع دور الخيل في تاريخ الغرب الإسلامي من المواضيع التي تم تغييبها في الأبحاث التاريخية وهوما يفرض على المهتم بالموضوع جمع المعلومات المتناثرة بين صفحات المصادر رغم ان الغرب الإسلامي من المناطق التي ازدهرت بها تربية الخيول لأغراض واحتياجات متعلقة بممارسة الرياضة المشاركة في الحروب الزينة ،لذلك فالبحث في هذا الموضوع له طعمه الخاص من حيث الصعوبة بسبب شح المعلومات ،ولكنه بمثابة تحدي لرد الجميل لهذا المخلوق الذي حضي بعناية دينية كما رافق سكان الغرب الإسلامي في احتفالاتهم حروبهم مغامراتهم ،فلم يثقل ذاك السنبك المعدني حافره للتخلف عن أداء مهمته وبكل شجاعة.

المقدمة:

يعتبر الخيل من المخلوقات التي لازمت الانسان منذ القدم حيث عمل هذا الأخير وبحكم تعلقه بها على تسجيل ونقش رسوم صخرية كتجسيد لمكانتها في نفسيته، فرغم مرور الزمن وما رافق ذلك من التطور الذي وصلت اليه البشرية الا انه لازال يحظى بمكانة متميزة لدى العديد من المجتمعات. تاريخيا يختلف المؤرخون ما بين الأصول الأولى للخيول فهناك من يرجع اصولها الى جرينلاند حيث دفع بها الجليد نحو أوروبا، وفريق اخر يتحدث عن موطنها الأول بأسيا الصغرى ثم أوروبا فالبلدان العربية.

فتاريخيا يعد الحصان من الحيوانات القديمة على سطح الأرض، ويقدر العلماء بأنها موجودة منذ 4000 عام قبل الميلاد، كما انه حيوان أليف، يمكن تربيته بطريقة سهلة، فهو وفي للإنسان ويحب القرب ، منه و يعيش تقريبا في اغلب مناطق العالم، وهو من صنف الثدييات التي تأكل

العشب ومن خصائصه الفيزيولوجية ان طوله بين 142 إلى 163سم، ووزنه يكون بين 380 إلى 550 كلغ، ويعيش الحصان إلى عمر 30 عامًا، فقد اكتسب مكانته الخاصة منذ القدم، فتعزز هذا الترابط الوثيق عبر الزمن ، فقد كان شريكا في خوض الحروب، ووسيلة للنقل والجرّ والعمل، كما استخدمه الناس في الرياضة وعروض الخيل وسباقاتها، وفي الترفيه؛ فهو كائن يبعث على البهجة، ملامح الخيل وجمال شكله وجسده جعله مصدر إلهام في الفنون المختلفة، فكُتِبَت حوله القصائد، كما صاحب الشعراء في الليل والنهار، وظل ملهماً لممتهني الفن التشكيلي، فابدع الرسّامون في رسم ونحت منحنيات جسده وجمال عينيه وانسدال شعره، وكادت اللوحات تنطق بحركته وصهيله، وذكر في الأساطير والحكايات الشعبية والروايات واستخدمه المخرجون في افلامهم.

فرغم تاريخه الزاخر لكنه لازال لم ينل حضه من اهتمامات المؤرخين و الباحثين ضمن الانتاجات العلمية ، فباستثناء بعض الدراسات التي تهم أنواع السلالات وكيفية معالجة الامراض التي تصيبه فان الكتابات التاريخية التي ترصد أدوار الخيل عبر التاريخ تبقى ضئيلة ومتناثرة .فاذا استثنينا بعض المصادر التي ارخت للخيل كابن الكلبي **الخيل في الجاهلية والإسلام واخبارها** وابن القيم الجوزية **الفروسية المحمدية** ،فان كتابات الغرب الإسلامي اغفلت الموضوع رغم ان سكان هذه المنطقة اعتبروها من المخلوقات التي لا ينتهي دورها بانتهاء الحرب ،بل بذلوا مجهودات كبيرة لتوفير كل ما تحتاجه من اكل وشرب وزينة حتى كان بعضهم يقربها من نفسه ويخصها بمعاملة خاصة مضمونها اللين ،فتسابق الكل لكسبها اكثر من أي شيء لكن ذكرها بقي متناثرا بين صفحات بعض المصادر و المراجع .

فقد اعتبر اقتناء الخيل والاهتمام بها مظهرا من مظاهر القوة والجاه والسلطان، فالخيول العربية مثال للجَمال والكمال والقوة، إذا قورنت ببقية سلالات الخيول؛ فالحصان العربي الأصيل قوي رشيق، دائم النشاط، كريم وفيّ يصبر على الشدائد، ذو حزم وعزم. ومن أهم ميزاته أنه لا يدهس فارسه إذا وقع عن صهوته.

لهذه الاعتبارات تسابق العرب وحثوا على اقتنائها وإكرامها، حتى إن الرسول ﷺ خصّ الجواد العربي الأصيل بنصيب عند اقتسام الغنيمة بضعفي ما ناله المقاتل الراجل (بدون الحصان) لذا نجد أن المسلمين ارتبطوا بحصانهم العربي وعنوا به لأنه قد اجتمع لهم فيه حُبَّان: حب شرعي وحب طبعي؛ سابقا كان من الصعب ترويضها لدى الإنسان القديم، إلى أن حل ذلك الوقت الذي استطاع فيه ابتكار بعض الأدوات، ومنها أدوات الصيد. فلم يستخدم الحصان في أعمال المزارع

والجر إلا في القرن التاسع عشر وخصوصا في أوروبا اما عند العرب فقد كانوا في البداية يركبونها وهي عارية الظهر ولم يستخدموا السرج ولا اللجام إلا مع الحصان العربي الأصيل بعد ترويضه. هذا الأخير يعتبر من أعرق سلالات الخيول في العالم وأغلاها ثمنا، ويرجع ذلك إلى عناية العرب بسلالات خيولهم الممتازة والمحافظة على أنسابها فهي تجمع بين جمال الهيئة، وتناسب الأعضاء ورشاقة الحركة، وسرعة العدو من جهة، وحدة الذكاء، والمقدرة العالية على التكيف فالحصان العربي الأصيل، يعتبر من أقدم الجياد على الإطلاق بدمه الأصيل، بل إن الحقائق التاريخية تشير إلى أن بلاد العرب لم تعرف إلا سلالة واحدة من الخيل الأصيل استخدمت لغرضين وهما الحرب والسباق.

فامتلاكه يعد دليلا على الجاه والقوة. يقول الجاحظ في رسائله لاتزال العرب بخير ما لبست العمائم وتقلدت السيوف وركبت الخيل كما اخرج الواقدي عن مسلم بن جندب قال اول من ركب الخيل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكانت وحشا لا تطاق حتى سخرت له وبذلك سميت العراب ،فكان من الطبيعي ان يتأثر سكان الغرب الإسلامي بهذا العشق اما بتعلقهم بالحصان البربري الأصيل او عند امتزاج الحصان العربي مع البربري ومن تم المرور نحو الاندلس فتزاوج الحصان العربي البربري مع الأوروبي ليعطينا الخيل الاندلسي وهو ما سنحاول التركيز عليه من خلال دراسة دور الخيول في الغرب الاسلامي.

الإطار المنهجي للبحث:

الإشكالية

البحث في موضوع الخيل يفرض التسلح بمجموعة من المعارف التاريخية على اعتبار انها من المواضيع الجديدة، والتي لازالت لم تأخذ نصيبها من الاهتمام وخصوصا في الغرب الإسلامي، فاذا كانت الأبحاث حول دور الخيل قد حضيت باهتمام لا بأس به في الدراسات بالمشرق، فان الإشارات لدور الخيل في تاريخ الغرب الإسلامي ضئيلة جدا لحد الندرة وتبقى متناثرة بين صفحات المصادر وتحتاج الى لم الشتات بل ان هذا التقاعس دفعنا الى التمحيص في الموضوع وبالتالي التساؤل:

- حول مساهمة الخيول في تاريخ الغرب الإسلامي؟
- ما طبيعة الأدوار التي لعبتها؟

منهجية الدراسة

لمقاربة الموضوع اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والاستنتاج، من خلال التأصيل لمصطلح الخيل وتحديد مختلف الأدوار التي قام بها عبر التاريخ الإسلامي مع التقيد بعنصري المكان بالغرب الإسلامي بامتداداته المجالية وتفاعلاته مع المجالات الاخرى بكل من المغرب الأقصى والاندلس، وكذا عنصر الزمن والذي يغطي فترة العصر الوسيط في محاولة للالتزام بأساسيات البحث التاريخي والتي حاولنا التقيد بها ومن تم ا لنبش في تاريخ الخيل بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

أهمية الموضوع

لعبت الخيول دورا مهما الى جانب الانسان في صناعة امجاد وتاريخ العديد من الشعوب، هذه القيمة لم تهتز عند العديد من البلدان العربية، فرغم التطور الحضاري الذي وصلت اليه فلا زالت متمسكة بتربيتها كدليل على علاقة الانسان العربي وعشقه لهذا المخلوق الانيق.

لذلك فأهمية الموضوع تتجلى في رمزية الخيل وتفانيها في خدمة الانسان والدين، وأنها ليست مجرد حيوانات للركوب بل تمثل رمزا للفخر والجهاد والخير وهي صفات نتوخى نقلها للأجيال الحالية حتى تطلع على القيم العميقة التي يحملها هذا الكائن، فتاريخيا كان الخيل اعز صديق للإنسان في السلم والحرب لكن المؤرخين لم يولوه الأهمية التي يستحقها رغم ان تاريخ الغرب الإسلامي مكتوب بدم بطولات الفرسان وجروح الخيول.

فلهذه الاعتبارات جاءت هذه الدراسة للتعريف بأهمية الخيل كمخلوقات نبيلة عريقة تثير الإعجاب والتقدير منذ القدم. فهي رفيقة الإنسان في رحلة الحضارة، ورمزٌ للقوة والشجاعة والجمال.

لذلك ارتأيت ان اسافر عبر الزمن في هذا المقال لاستكشاف اهم أدوار الخيل في تاريخ الغرب الإسلامي كاعتراف بجميل هذا المخلوق الشجاع الأصيل من جهة، وتشجيع البحث في هذا الموضوع من جهة أخرى، ليجد مكانه ضمن الدراسات الاكاديمية خصوصا وان الابحاث الحالية تفاجئنا كل مرة بتركيبة نفسية للخيول تستطيع من خلالها قراءة الاحاسيس البشرية وهذا موضوع اخر يستحق الدراسة والبحث.

تأصيل المصطلح

اشتق اسم الخيل من خال يخيل خيلا واختال يختال اختيالا، وهي صفة في الخيل ثابتة لا تكاد تفارقها[1]والخيل قسمان عراب وهي الخيل العتيقة وبرادين عكس ذلك كما تختلف من حيث

السرعة والوظيفة، فالهماليج هي الخيول السريعة المخصصة للسباق وخوض الحروب وهناك أخرى مخصصة لحمل الامتعة فمصطلح الفرس يطلق على الخيل الواحد ومذكر الفرس يسمى حصان والمؤنث تسمى رمكة[2] وتكون في الغالب مخصصة للنسل.

مكانة الخيل في تاريخ الاسلام

تمتعت الخيل بمكانة خاصة عند العرب عموما والغرب الإسلامي على الخصوص، ومن مظاهر اعتزازهم بالخيل أنه أعطاها أسماءً وأنسابًا؛ فسجل للخيل مشجرات مطولة بأنسابها حتى لا تشوب أصالتها شائبة ويبقى دمها نقيًا وبلغ بهم الحرص حد منع ذكور الخيل العربية الأصيلة من النزول على الاحصنة الغريبة حتى لا يختلط نسبها.

كما حضيت في ظل الإسلام بتكريم خاص أكثر مما كانت عليه في الجاهلية، فقد حث الدين على ركوب الخيل وتشجيع تربيته لما لذلك من مكانة في المجتمع باعتبارها خلاص المسلم في التنقل والقتال اثناء الحروب وتقديرا لها فقد ذكرها القران الكريم في خمس آيات، بالإضافة إلى تخصيص سورة بالكامل لها وهي سورة العاديات:بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا (1) فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا (2) فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا (3) فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا (4) فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا (5) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ (6) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ (7) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ (8) ومعنى السورة وعلاقتها بالموضوع ان:

العاديات: وهي الخيل التي تركض بسرعة.

-ضبحا: وهو الصوت الذي يصدر من الخيول أثناء جريها، وحاجتها الكبيرة للتنفس وبسرعة.

-الموريات قدحا : وهي دلالة على الاحتكاك القوي لحوافر الخيل بالأرض محدثة شرارات.

-المغيرات صبحا : المقصود بها هنا الخيل التي تهجم على الأعداء في الساعات الأولى من النهار.

-أثرن به نقعا : وهنا إشارة الى ترك الاتربة وراء الخيول وهي تجري بسرعة.

-فوسطن به جمعا : إشارة على قوتها القادرة على اختراق صفوف الأعداء، وتفريقهم ومن تم الانتصار عليهم.

فقد فضلها الرسول ﷺ فجاء ذكرها في أحاديث كثيرة تحث على إكرامها وعدم إذلالها وإطعامها والاعتناء بتربيتها؛ لأن في نواصيها الخير، وفيها البركة، روى الامامين البخاري ومسلم عن ابن عمر وعروة بن الجعد رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

كما أمر ﷺ بالإنفاق على الخيل، روى ابن ماجة عن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ارتبط فرساً في سبيل الله ثم عالج علفه فله بكل حبة حسنة". ونهى عن إذلالها روى أبو داوود في المراسيل أن عمر بن الخطاب خاطب اهل الشام"لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلّوها" .

كما قال علموا ابناءكم السباحة والرمي وركوب الخيل لما لها من فائدة للجهاد في سبيل الله وقرنها بالرماية وهي فن إصابة الهدف وحسن التصويب، فممارستها تبني شخصية المسلم على بلوغ الهدف في الحياة بكل دقة يضاف لذلك اكساب المسلم القوة والشجاعة لخوض الحروب والدفاع عن النفس، وقرن ركوب الخيل بالرماية فلذلك جمع المسلم الفضليين ركوب الخيل والرماية وهي من الألعاب المباحة التي أصبحت تدخل ضمن المنافسات الدولية تحت اسم رمي الرمح.

يتضح مما سبق ان الفقه الإسلامي شجع على الفروسية وركوب الخيل، وهذا ما جعل هذا الحيوان يحضى بالشرف في المجتمعات الإسلامية عموما والغرب الإسلامي على الخصوص.

صور لبعض من سلالات الحصان العربي الأصيل بالمغرب مأخوذة من موقع sorec

الخيل في باقي المناطق الأخرى.

إذا كان الفقه الإسلامي قد شجع على ركوب الخيل فان باقي الشعوب والديانات الاخرى اعطت بدورها أهمية كبرى للخيول رغم ان هذه الأخيرة ظلت برية وعسيرة الركوب منذ عصور ما قبل التاريخ، ومع ذلك فقد كانت للخيل مكانةٌ مهمة في ثنايا المتون في الديانة اليهودية والمسيحية، فللخيل رموز عديدة، وراكب الخيل أو الفارس يرمز به للمسيح عليه السلام في العديد من المتون الدينية. ولهذا وُرد ذكر الخيل كثيرًا "الكتاب فقد أشار سواءٌ في "العهد القديم" (التوراة)، والعهد الجديد" (الأناجيل الى ان حمل المستكشفين الاوربيون خيولا مستأنسة للأمريكيتين فقد أشار

موقع cramer quarter horsesو عن فوائد ركوب الخيل الكثيرة للإنسان من خلال تنشيط الذكاء اثناء تتبع تحركات الحصان، بل ان تخطي الحواجز تعزز الثقة لدى الانسان في مواجهة صعوبات الحياة وبالتالي تعلم الاستقلالية في القيادة والتغلب على العقبات والحفاظ على التوازن والقوة المطلوبين كعناصر مهمة في بناء الشخصية المتوازنة.

الخيل عند الادباء

ترك عالم الحيوانات تأثيرا كبيرا في نفسية الادباء والشعراء، فلذلك افردوا انتاجات ومقاطع لرمزية العديد من الحيوانات ومن بينها الخيول هذه الأخيرة لطالما هدفت لتخليد الانتصارات والبطولات والشجاعة والقوة، فقد بين الجاحظ عظمة الخيل ووصفها بأشرف الحيوانات اسما فنقول فرس كريم فرس جواد فرس عتيق فرس وسيم[3] ،فلذلك فقد تغنى به الشعراء منذ الجاهلية وبعدهم المسلمون بالجزيرة العربية وبالأندلس وقد برع الشاعر الاندلسي ابن فركون في مدحه امراء بني نصر في غرناطة قائلا:

وهزج الخيل قد غنت صواهلها بحيث لا رمل يغني ولا هزج[4].

ثم الشاعر ابن حمديس الاندلسي بإشبيلية والذي حاول محاكاة امرؤ القيس في وصف الحصان من حيث الرقة القوة الحركة واللون، وهذا ما جعله من بين الشعراء المشهورين في الاندلس بوصف الخيل[5] فلذلك أحبها الشعراء والعامة من الغرب الإسلامي لحد الالفة والعشق فاستهواهم منظرها الجميل فأسرت قلوبهم واتخذوها صديقة في سلمهم وحربهم، بل امتد الامر نحو ايثار الخيل على الأبناء في الطعام والشراب والكساء والمسكن يقول عبيد ابن ربيعة:

مفداه مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع.

كما استخدم مصطلح الحصان كتشبيه للشاعر الاندلسي ابوبكر بن سهل الاندلسي عندما عبر عن لسان حال الاندلسيين من قتال المرابطين في الاندلس في عهد يوسف بن تاشفين وكثرة خوضهم المعارك قائلا[6]

في كل ربط اللثام دناءة ولو انه يعود على كيوان

ما الفخر عندهم سوى ان ينقلوا من بطن زانية لظهر حصان

المنتمون لحمير لكنهم وضعوا القرون مواضع التيجان

كما اهتم الفنانون برسم الحصان في لوحاتهم ومن اللوحات الشهيرة في العالم العربي لوحة الفنان تمام الأكحل بعنوان "***لا تتركوا الحصان وحيدا***"، محاكاة لقصيدة محمود درويش الشهيرة "***لماذا تركت الحصان وحيدا.***

فقد تم تمجيد مكانة الخيل في نفوس العرب فخصصوا لها امثالا:

-عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز.

-ثلاثة من نعم الله زوجة صالحة حصان اصيل وسيف بتار.

-ثلاثة لا تعار الزوجة والسلاح والفرس.

استخدامات الخيل في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

يستمد الاهتمام بالخيول في الغرب الإسلامي منذ الاحتكاك بالفاتحين في صدر الاسلام، فقد اهتم العرب باقتنائها والاحتفاظ بها في السلم والحرب، فكانت من بين وسائل الحرب ومهاجمة الأعداء والدفاع عن النفس ولا ادل على ذلك الدفاع عن ملوك الطوائف وتلبية نداء الإغاثة، فقد شكل الفرس أحد وسائل الحرب كما ان امتلاكها فيه من العزة والجمال لا يعرف قدرها الا من امتلكها وقد تعددت استعمالات سكان المغرب والاندلس بين العسكري الاقتصادي الرياضي والمباهاة والزينة أيضا.

1-حمل الأشخاص والامتعة

لعبت الخيول أدوارا مهمة في حياة مسلمي الغرب الإسلامي، فالله سبحانه وتعالى حدد مهمتها في قوله تعال والخيل والبغال لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون[7] لذلك وتكريما لأدوارها النبيلة فقد تم الاعتماد بشكل كبير على البغال في نقل المسافرين والأمتعة وخصوصا في المناطق الصعبة الاختراق ،علما بان هذه المهمة كان يتم اسنادها بالأساس للبغال مع استعمال انثى الحصان في هذه العملية ومحاولة عدم اثقال الخيول بمهمات شاقة وهو من باب احترام مكانتها في حياة الانسان سواء بالمشرق او بالغرب الإسلامي، بل و في حالات عديدة اذا لم يتوفر العدد الكافي للمسافر يضطر لكراء البغال لقضاء الأغراض المتعددة والتي تمتد أحيانا لشهور وترك الحصان لمهام اخرى[8].

2-المشاركة في الحروب

كما سبقت الإشارة لذلك، فقد رغب الإسلام ركوب الخيل قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ترهبون به عدو الله وعدوكم وفعلا فعلى ظهورها فتح المسلمون الامصار وصولا الى الصين فالأندلس ووصلوا العزة المبتغاة فقيمة النبل والشجاعة متجذرة في هذا الحيوان حتى قبل مجيء الإسلام، لكن هذا الأخير صقلها بل ورغب فيها وخص للفرس سهمين ولصاحبه سهما واحدا وما ذلك الا تكريما لها لأنها تجرح وتجاهد في سبيل الله مثلما يجاهد المسلمون فتطعن وتقتل وتحزن وتفرح بالنصر وتبكي إذا قتل صاحبها.

فلذلك حرص العرب في البداية على كسبها رغم قلتها في البداية الى ان تم الحصول على اعداد كبيرة فيما بعد كغنائم نظير انتصاراتهم ،ولضمان استمرارية هذه المكانة فقد خصها السلاطين بمنصب رفيع يهتم بها تحت اسم صاحب الخيل وهي وظيفة إدارية يتولاها احد كبار القادة العسكريين ممن تتوفر فيهم الشجاعة والقيادة [9] ،فالخليفة عبد الرحمان الناصر اسند قيادة الجيش لصاحب الخيل زياد بن افلح[10] وكان صاحب الخيل يشرف على مخازن فرعية تضم السروج واللجم خيول الخلفاء[11]كما ان الأمير تاشفين بن علي كانت نهايته على يد فرسه المسماة ريحانة[12].هذا وقد تعددت استخدامات الدولة المرابطية للابل و الخيل في حروبهم الأولى ضد معارضيهم في كل من درعة وسجلماسة قدر عددها البكري في كتابه المغرب بثلاثين الف ما بين الخيل و الابل [13]

وفي العصر الموحدي شجع الخليفة عبد المومن بن علي تكثيف التداريب استعدادا للحروب، كما أرسل قوة عسكرية قوامها اثنا عشر ألف حصان من المغرب للأندلس لإنقاذ الجيش الاندلسي في مواجهة المسيحيين الذين حاصروا قرطبة سنة 545هجرية، نفس الوضع سيستمر مع الدولة المرينية، فقد كان السلطان أبو الحسن المريني مولعا بركوب الخيل والمبارزة[14] ،هذا الاخير امتد ت الدولة في عهده لتلمسان فقد كان يحرص السلطان المريني أبو الحسن على الحضور لميدان السباق بتلمسان ليشاهد استعراض الجيش وتدريباته [15].

3-الفروسية وركوب الخيل

يعتبر سباق الخيل من الرياضات التي عرفها العرب منذ الجاهلية واهتموا بها اهتماماً شديداً، وعرفوا سباقاتها. ولعلَّ واحدة من أشهر حروبهم داحس والغبراء، كان سببها المباشر سباقاً بين فرسين. وكانوا يتراهنون على الخيل في سباقات تقام لأجل ذلك، إلى أن جاء الإسلام فنهى عن هذه العادة وأبقى على الاهتمام بالخيل. فأبطل الإسلام الرِّهان على الخيل المتسابقة، وكرَّمها أيما تكريم إذ أقسم بها المولى عز وجل ﴿***والعاديات ضبحاً***﴾ وقال عنها النبي ﷺ: "***الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة***" رواه البخاري ومسلم، وشجَّع الإسلام على الاهتمام بها فهي مراكب الأبطال والفرسان ونواصي الفخر والعزة والانتصار.

فرياضة ركوب الخيل من أبرز المظاهر الاجتماعية التي ميزت الغرب الإسلامي لإظهار البطولة والشجاعة ،فقد اهتم المرابطون بركوب الخيل ،نفس الامر بالنسبة للسلاطين و عامة مجتمع المغرب الأقصى حيث هواية الفروسية وركوب الخيل اخذت وقتا وحيزا من حياتهم للمشاركة في الألعاب او مشاهدة المبارزات في حلبات مخصصة لذلك ،خصوصا وان خيول المغرب الأقصى

تميزت بالصلابة والسرعة والافضلية وتعتبر خيول جبل فازاز من اجودها حسب صاحب الاستبصار ،كما أشار المعتمد بن عباد الى حدث خروجه للتنزه بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه ولما ابتعد اخذ في المسابقة بالخيول[16].

كما عرفت بلاد الاندلس بالفروسية وركوب الخيل، فكانت هذه الرياضة من الأمور التي تعرف اقبالا وحضورا في أوساط البلاد وهي فرصة سانحة لإبراز الموهبة والشجاعة، فكانت ساحات المدن الكبرى مسرحا لممارسة هذه الرياضة ولا ادل على ذلك ساحة باب الرملة وسط غرناطة.

يتضح مما سبق ان الاندلسيون خطوا خطوة المسلمين الذين سبقوهم في المشرق في العناية بالخيول لما لذلك من أهمية في الدفاع عن حوزة البلاد في مواجهة المسيحيين الذين ظلوا يتربصون لطرد الوجود الإسلامي بالأندلس، لكن حسن العناية بالفرس والفارس جعل العدو يهاب الاندلس لردح من الزمن الى ان كانت نهاية المسلمين مع سقوط بنو الأحمر.

4-الخيل وسيلة للتقارب ونشر السلام

اقترن تبادل الهدايا برمزية كبيرة في العلاقات الدولية، وخصوصا عندما يتعلق الامر بالخيول كهدية لما تحمله من دلالات، فالخيل أفضل وأجمل الهدايا فقد عمل سلاطين المغرب على اختيار أجملها وتقديمها لحكام الاندلس حيث وصلت في احدى المرات 900 حصان [17] ،كما ان الحكم المستنصر بالله بعد توليته خلافة الاندلس اهدي له مائة مملوك من الافرنج ناشئة على خيول والاسلحة المختلفة[18]. فقد كان الخيل ضمن الهدايا التي اهداها يوسف بن تاشفين الى ابن عمه ابي بكر بن عمر يقول ابن عذاري شرع يوسف في توجيه الهدية ومن ضمنها سبعون فرسا منها خمسة وعشرون مجهزة بفاخر الجهازات ومائة وخمسون من البغال الذكور والاناث[19]

أصناف الخيول بالغرب الاسلامي

1 -الخيول الأندلسية

شكل الخيل جزء لا يتجزآ من حياة الانسان العربي، فاهتم بها أينما حل وارتحل حيث حمل الفاتحون الأوائل للأندلس الحصان العربي الأصيل وتم تهجينه مع سلالات أخرى، بالإضافة الى الخيول التي مرت عبر المغرب للأندلس، ويبقى خيل العتاق من بين الأنواع العربية الاصيلة التي انتشرت بالأندلس وكانت مخصصة لكبار القوم كونها من الصنف التي ركبها اسماعيل[20]،إضافة الى صنف العراب وهي من النوع الذي يتميز بسرعته وخصوصا في المسابقات ثم الشقر والكمث[21].وقد اشتهرت الاندلس بتربية البغال والخيل حيث وصف المقري وخيلها بقوله وبغال

الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح وتعتبر اشبيلية وطليطلة وبنبلونة وتعتبر هذه المناطق مشهورة بجودة وقوة خيولها

2 -الخيول البربرية

تشير المصادر التاريخية الى اهتمام سكان المغرب الأقصى بتربية الخيول واستخدامها، بدليل ان العرب الفاتحين لما دخلوا بلاد المغرب في منتصف القرن السابع الميلادي وجدوا سكان المغرب الاقصى انهم أكثر ركوبا للخيل[22].فقد أشار ابن حوقل ان البربر ارتبطت حياتهم اليومية بالخيل عند حديثه عن مدينة بونة ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية وأكثر سوائمهم البقر وقل من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج[23] فالخيول الموجودة في بلاد المغرب نوعان فالنوع الأول يطلق عليه اسم **بارب** حيث يقبل على تربيتها كبار قوم البربر وهي اقل سرعة ولاتصبر على الركض غير ان ما يميزها انها جميلة ما الصنف الثاني فتسمى بالخيول العربية وهي تمتاز بخفتها واسعارها مرتفعة ولا يقبل على كسبها الا الملوك ليتمكنوا من الفرار اذا اقتضى الامر[24].كما أورد الوزان في كتابه وصف افريقيا تحت اسم فرس المغرب، ان الخيول في إيطاليا تسمى بعضها بالبربري إضافة الى بعض البلدان الاوربية لأنها كانت تأتي من بلاد البربر[25].

لكن مع دخول الفاتحين المسلمين والعرب الهلالية الى المنطقة امتزج الحصان العربي مع الحصان البربري، ويعتبر هذا الأخير من أقدم سلالات الخيول حيث يرجع تاريخ وجوده إلى ما يزيد عن 3000 سنة، فقد وجدت نقوش حجرية قديمة على جدران المغارات والجداريات، تثبت قدم هذه السلالة.

مواصفات الخيل بالغرب الإسلامي

اهتم سكان الغرب الإسلامي وعلى خطى العرب قديما على الاهتمام بأدق التفاصيل، فوضعوا أسماء لأنواع أصوات الحصان والوانها، إضافة الى مصطلحات لأنواع مشيه وعَدْوِه وجريه. ومن ذلك الضَّبر وهو إذا وثب الحصان فجمع قوائمه الاولى، اما إذا باعد بين خطاه وتوسع في مشيه فيسمى العنق، وإذا عكس المشي بأن قارب بين خطاه فتسمى المشية عندئذ الهملجة نسبة الى الهماليج وهي الخيول المتخصصة في خوض الحروب، أما إذا عنق مرة وهملج أخرى فذلك يسمى الارتجال، وإذا قبض رجليه وراوح بين يديه واستقام جريه فهو الخبيب، بل امتد الامر نحو

وصف سرعة الخيل في الاشتباك مع العدو، فالإمجاج هو أن يأخذ في العدو قبل أن يضطرم والإحضار أن يعدو عدوًا متداركًا يعني مباغتة العدو، والإرخاء أشد من الإحضار، والإهذاب أن يضطرم في عدوه، والإهماج هو قصارى جهد الفرس في العدو.

ومن الخصائص الفيزيولوجية للحصان البربري انه معتدل القوام فشكل رأسه قوي وشعبتا فكه كثيفة، جبهته عريضة وكثيرا ما تكون محدبة، المظهر الجانبي محدب الى مستقيم، عيناه منزويتان، أنفه منزو ومنحدر، اما عنقه قوي وعريض ومُطعّم بأحسن الطرق، ظهره قوي وعريض، ذيله منبته أسفل، عظام قوائمه قوية، شعر العرف والذيل كثيف وموفور ووديع، يربى هذا الصنف منذ القدم من أجل العمل، الصيد، الحرب والفروسية الاستعراضية. الحصان البربري هو بالدرجة الأولى حصان للركوب، للقدرة على التحمل وأشكال مختلفة من الرياضة.[26]

صورة لنموذج من خيول السلالة الاندلسية

صورة لخيول السلالة البربرية موقع sorec

الخيل بالمغرب اعتراف بجميل لا ينضب

إذا كان الخيل قد رافق الانسان وبمختلف الاصقاع في الغزوات والحروب وتحمل المشاق والتسلية، فان سقوط غرناطة في يد المسيحيين قد جعل المغاربة يستمرون على نفس النهج تطبيقا لما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة حول الاهتمام بالخيول يقول الرسول صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة.

ولربط الماضي بالحاضر ورغم تطور الاليات فقد حرص المغاربة على الاعتراف بجميل الخيول وتقديرا لخدماتها عبر مسار التاريخ المغربي، فقد استمروا على نهج السلف من خلال تشجيع الناس على تربيتها وتخصيص معارض لها ومسابقات كالتبوريدة التي أحبها المغاربة، فهي مصدر الخير ومشاهدتها تجلب الراحة النفسية وركوبها يعزز الشعور بالعزة والانفة، هذا الاهتمام

بالفرس ليس عبثا ولا وليد عهد قريب وإنما أفرزته جملة من المعطيات التاريخية، وبهذا فقد ظل فرسان قبائل المغرب على نهج السلف.

الصورة لفن سباق الخيول التبوريدة حيث سحر الفارس والفرس العربي البربري

وهناك إشارات تاريخية متعددة مثلا في كتاب «إتحاف أعلام الناس» تؤكد مدى اهتمام القبائل البربرية بالفرس ،وهكذا تأصل هذا الاهتمام في أوساطها الشيء الذي استحال معه استئصاله لا لشيء سوى لأنها تتسابق لامتلاك الخيل باعتباره تاجا من العز، بل ان المغاربة طوروا تعاملهم مع الفرس من خلال ادخال طقوس مغربية خالصة تميزهم عن باقي الدول منذ القدم، ولعل صناعة السروج بالمدن المغربية الاصيلة خير شاهد على ذلك فقد ثم تخصيص لباس تقليدي يرتديه خاصا بالسباق ويكون تقريبا موحدا بين أفراد «السربة»، ويتكون من جلباب أبيض رقيق تحته «الفرجية» ،والبرنس المغربي العربي الواسع في لون مع عمامة بيضاء ترصع رأسه مع حبال حريرية حمراء، وأحيانا يحمل الفارس خنجرا للزينة

أما حذاء الفارس فمصنوع من الجلد خفيف يصل إلى ما دون الركبة، وتعتبر دور الدباغة المزود الرئيسي للصناع التقليديين المتخصصين في ذلك مع وجود موضع للأرجل من حديد لتنبيه الخيل في حالة الكسل وعدم مجاراة السباق. وهو ما يعطي للفرس والفارس كل مظاهر التأنق والزينة، إضافة الى اللبد: وهو عبارة عن نسيج صوفي ناعم محلي الصنع يوضع على صهوة الفرس.

هذه العناصر السالفة هي التي جعلت الخيل العربي المغربي البربري يتألق وطنيا ودوليا وهو ما اثار اندهاش العالم، وحفاظا على هذه العلامة المغربية فقد تم تصنيف فن التبوريدة كتراث لا مادي لدى اليونسكو في 15دجنبر سنة 2021.

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى ان الخيول من أجمل المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى وأكرمها بالذكر في العديد من الآيات الكريمة، وأوصى الرسول الكريم بتربيتها في عدة أحاديث شريفة، وبذلك فقد استوحت سرها من سورة العاديات وأوصى الرسول ﷺ بها ووعد محترميها بالخير، كما تغنى بها الشعراء في الجاهلية والإسلام.

لذلك فسكان الغرب الإسلامي لم يخلفوا الموعد بل اهتموا بها ،مما جعلها تساهم في كتابة تاريخ العالم عموما والغرب الإسلامي على الخصوص ،ولا ادل على ذلك الأدوار التي قامت بها على مر تاريخ الإسلام عموما والغرب الإسلامي على الخصوص ،رغم ان المصادر و المراجع لم تسعفنا في المزيد من التعمق في الموضوع لكن لأهمية هذا المخلوق الودود قمنا بالنبش التاريخي ،فطالما كانت الخيول سببا في الانتصارات التي حققها ففتح بها المسلمون جبهات كانت عسيرة بالأمس ،واستقبلوا بها الضيوف الرسمية وشاركتهم مسابقاتهم الرياضية ،فلذلك فان معرض الفرس بالجديدة مساهمة طيبة من لدن المسؤولين يظهر ريادة المغرب في حماية خيوله البربرية ،كيف لا والنقوش الصخرية تؤكد وجود الخيل بالمغرب لأكثر من 3000 سنة.

التوصيات:

- ضرورة انفتاح المواضيع التاريخية على بحوث تتعلق بالخيول كمساهمة من البحث الأكاديمي في تعزيز باقي المتدخلين.
- تشجيع وتعميم كل التظاهرات الرياضية والمعارض التي تهتم بموضوع الفرس.
- الاهتمام بنقاء سلالة الخيل المغربي البربري وتعزيز البحث المخبري في هذا الشأن.
- تقوية المرابط الوطنية وزيادة اعدادها حتى تغطي بعض المناطق المشهورة أيضا بتربية الخيول.

- تسجيل كل التظاهرات المتعلقة بالخيول كتراث وطني وبالمنظمات العالمية حماية للمنتوج الوطني.

- للآباء دور مهم جدا في تعليم أبنائهم الفروسية لخلق جيل متشبث بالفرس

الهوامش:

---

[1]ابن منظور لسان العرب

[2] ابن جرير الكلبي الخيل مطلع اليمن والاقبال في انتقاء الاحتفال دار الغرب الإسلامي بيروت1986 ص44

[3]شادي هادي شكر الحيوان في الادب مكتبة النهضة العربية بيروت ط 1السنة 1985 ص27

[4]محمد ابن شريفة ديوان ابن فركون مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ط1 1969 ص333

[5]احسان عباس ديوان ابن حمديس دار صادر للنشر بيروت 1960 ص73

[6]ابن عبدون رسالة في ادب الحسبة والمحتسب تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية القاهرة 1955 ص28

[7]سورة النحل الآية 8

[8]ابن العطار الاندلس من خلال كتاب الوثائق والسجلات جامعة البصرة كلية الآداب السنة 2021 ص110

[9]ابن حيان المقتبس في انباء اهل الاندلس تحقيق محمود علي مكي القاهرة 1994 ص110

[10]ابن حيان نفسه ص188- 189

[11]المقري نفح الطيب ج 1 ص 342

12مجهول الاستبصار ص 133

[13]البكري كتاب المغرب ص 176

[14]القلقشندي ص 205

[15]ابن الحاج النميري فيض العباب تحقيق محمد بن شقرون دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 ج1 ص194

[16]لسان الدين بن الخطيب الإحاطة ج 1 ص 557

[17]ابن ابي زرع الانيس المطرب بروض القرطاس ص177

[18]المقري نفح الطيب ط1 ص 382

ابن عذاري البيان المغرب ج 4ص26 19

[20]ياقوت الحموي معجم البلدان بيروت دار صادر 1977 ط1 ص105

[21]ابن حوقل صورة الأرض دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت 1992 ص 110

[22] ابن عذاري المراكشي البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب بيروت ط 2 سنة 1980 ص8

[23] ابن حوقل صورة الأرض مكتبة الحياة 1996 ص 77

[24] مارمول كربخال ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و اخرون مكتبة المعارف للنشر الرباط 1984 ص 71

[25] الوزان وصف افريقيا ترجمة محمد حجي ومحمود الأخضر دار الغرب الإسلامي 1983 ط2 ج2 ص262

[26] موقع Sorecالمتخصص في الخيول تاريخ الزيارة 13نونبر 2024 .

ثبت المصادروالمراجع

-ابن ابي زرع الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط دار المنصور للطباعة والوراقة 1972.

-ابن الحاج النميري فيض العباب تحقيق محمد بن شقرون دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 ج1.

-ابن العطار الاندلس من خلال كتاب الوثائق والسجلات جامعة البصرة كلية الآداب السنة 2021.

-ابن جرير الكلبي الخيل مطلع اليمن والاقبال في انتقاء الاحتفال دار الغرب الإسلامي بيروت1986.

-ابن حوقل صورة الأرض دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت 1992.

-ابن حيان المقتبس في انباء اهل الاندلس تحقيق محمود علي مكي القاهرة 1994.

-ابن عبدون رسالة في ادب الحسبة والمحتسب تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية القاهرة 1955

-ابن عذاري المراكشي البيان المعرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ج 1 بيروت 1985.

-ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت ط 1السنة2002.

-احسان عباس ديوان ابن حمديس دار صادر للنشر بيروت 1960

-المقري نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق احسان عباس مكتبة دار صادر ج 1 السنة 1968.

-الوزان وصف افريقيا ترجمة محمد حجي ومحمود الأخضر دار الغرب الإسلامي ط2 ج2

-سورة النحل الآية 8.

-شادي هادي شكر الحيوان في الادب مكتبة النهضة العربية بيروت ط 1السنة 1985.

-لسان الدين بن الخطيب الإحاطة في اخبار غرناطة ج 1 دار الكتب العلمية لبنان 2003 .

-مجهول كتاب الاستبصار في عجائب الامصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد الدار البيضاء 1985

-محمد ابن شريفة ديوان ابن فركون مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ط1 1969.

-محمد ابن شريفة ديوان ابن فركون مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ط1 1969

-ياقوت الحموي معجم البلدان بيروت دار صادر 1977 ط1 .

1983.

-شادي هادي شكر الحيوان في الادب مكتبة النهضة العربية بيروت ط 1السنة 1985

-مارمول كربخال افريقيا ترجمة عن الفرنسية محمد حجي واخرون مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط 1984

Aspects of the contribution of horses to the history of the Islamic West during the Middle Ages

Dr. Ali Elbouzaini

Faculty of Arts Sais Fes

Sidi Mohamed Ben Abdellah University/Morocco

elbouzaini.ali@gmail.com

Keywords: Horses - Islamic West - Al-Arab - Taboureda - Archery

Summary:

The content of this article falls within the topics that have been overlooked by researchers interested in the history of the Islamic West. While this field has been covered by research on topics related to politics, economy and society with its customs and traditions, the role of the horse in the history of the Islamic West is one of the topics that have been absent in historical research, which forces those interested in the topic to collect information scattered between the pages of sources despite the fact that the Islamic West is one of the regions where horse breeding flourished for purposes and needs related to sports and participation in decorative wars, so research on this topic has its own taste in terms of difficulty due to the scarcity of information